تعليقات حول لقاءات ورسم خرائط الشرق اللاتيني

**علي ميرسباسي**

فرناندو بادييا

تعليم أميركا اللاتينية في طهران

مستنداً إلى تعليمه في إيران، في ٢٠١١، حين دعته جامعة طهران كي يدرّس في برنامج الماجستير في الدراسات الأميركية اللاتينية، يبلور الأستاذ باديا سلسلة من الاستبصارات حول المعرفة العابرة للقومية والسياسية والمعلومات المضللة داخل الثقافة والتربية.تضمنت دروس بادييا ”حقوق الإنسان في أميركا اللاتينية ، من الغزو حتى الوقت الحالي“، و“الفيلم الوثائقي في أميركا اللاتينية“. يضع الصلة بين أسبانيا وفارس في سياقها التاريخي من قبل استعمار أميركا اللاتينية، في ٧١١، حين سهّلت كلٌّ من شبه الجزيرة الإيبرية والعالم الإسلامي التبادل الديني و الثقافي. ويصف باديا تكييف تعليمه مع الأوضاع الخاصة للتعليم العالي الإيراني. فقد تحدث الطلاب الأذكياء والمجتهدون أحياناً لغة أسبانية أدبية. وعلى أي حال ولّد السياق السياسي للمجتمع الإيراني ”المغلق“ تحديات خاصة. وكانت البيئة مشبعة سياسياً بإرث الصراع ضد الإمبريالية والأممية الثالثة، وفي أعقاب الثورة الإيرانية. وضع هذا فرامل على الاستقلالية المؤسساتية وحرية المعلومات. وثقافياً، عرف الشباب الإيرانيون أميركا اللاتينية من خلال الإعلام الشعبي، وبشكل مثير للانتباه، من خلال أدب الواقعية السحرية. وينوه باديا إلى أنه منذ الثورة والحرب بين إيران والعراق (١٩٨٠-١٩٨٨) إما أغلقت دول أميركا اللاتينية سفاراتها لأسباب أمنية، أو أهملت التبادل الثقافي. ولم تفتح إلا كوبا ونيكاراغوا في الثمانينات سفارتيهما في طهران، وكانتا من بين الدول الوحيدة التي حافظت على روابط سياسية وثقافية داخل التحالف الجيوبوليتيكي المضاد للولايات المتحدة.

أنتجت هذه الأوضاع رؤية تاريخية ضيقة داخل الدوائر الأكاديمية الإيرانية، بما فيه إحالات أو مراجع سطحية إلى الحرب الأهلية الأسبانية، واستعمار واستقلال الأميركيتين، والثورتين المكسيكية والكوبية، ودكتاتوريات أميركا اللاتينية. وكان الطلاب الإيرانيون يعرفون سيمون بوليفار وتشي غيفارا. وبعد الثورة صوّر الإعلام الإيراني التدخل الأميركي في أميركا اللاتينية من خلال الأفلام والأفلام الوثائقية والتقارير الصحفية والكتب. وعرف الطلاب عن الثورتين في كوبا ونيكاراغوا وعن الدكتاتوريات العسكرية المدعومة من الولايات المتحدة الأميركية. وقارنوا هذه التجارب مع الانقلاب في ١٩٥٣ ضد محمد مصدق. في هذه الأثناء، صور التلفزيون الإيراني بشكل إيجابي العلاقة بين إيران وأميركا اللاتينية. مفترضين السطحية أحادية البعد الغالبة لهذه المعرفة، جاءت النقاط المرجعية للطلاب الإيرانيين من مقارنة مع التجارب الشخصية. ولعب الدين دوراً جوهرياً في تأملاتهم وتحليلهم. وينظر بعض الطلاب إلى المشكلات الاجتماعية في أميركا اللاتينية كالجريمة والعنف والتهريب واستهلاك المخدرات كنتائج للانحطاط الأخلاقي الغربي. وفي وجهة نظرهم، لا يمكن أن يحدث هذا في إيران بسبب الاستقامة الأخلاقية للقيم الثقافية. أما في الأدب فقد كان خورخي لويس بورخس وأوكتافيو باث وغابرييل غارسيا ماركيز معروفين جيدا.

في هذه المراجع العابرة للحدود القومية والثقافية البينية يرى باديا إمكانية لعلاقة أمتن في المستقبل، على أساس المعرفة المتبادلة بين المجتمعين والتاريخين المشتركين. وثمة صالة قوية جداً عابرة للحدود القومية بين إيران وأميركا اللاتينية، لكن إمكانية فهم متبادل أعمق تقيدها الرؤية الضيقة للقمع السياسي. وتقدم المقالة دراسة عميقة عابرة للحدود القومية. وسيكون من المهم أن نعرف المزيد عن النظرة إلى الواقعية السحرية بين الطلاب الإيرانيين، وكيف يمكن أن يربطوها مع تراث إيران في الواقعية السحرية لدى شخصيات أساسية في القرن العشرين مثل صادق هدايت. من المهم أيضاً معرفة أي دلائل على مصادر مفهومية يسارية يعرض الطلاب في تحليلهم العالمي للإمبريالية. وكيف تتقاطع التقاليد الماركسية والواقعية السحرية مع الإيديولوجيا الرسمية للجمهورية الإسلامية؟ هل نستطيع بالتالي تحديد صدوع في الثقافة السياسية المعاصرة في إيران، وربما نرى طرقاً بديلة إلى الأمام، لإيران وبلدان أخرى ما بعد استعمارية تصارع مع مسائل مشابهة؟

مروان كريدي

حكاية حداثتين

مقارناً بين إيران وأميركا اللاتينية، يتأمل الأستاذ كريدي في حداثات متعددة، تعتمد على سياقات ثقافية. يوضح التداخل بين الحداثة والتحديث في المملكة العربية السعودية وأميركا اللاتينية. هل حداثة أميركا اللاتينية الوافرة تتسم بتحديث ناقص؟ هل التحديث التكنولوجي الذي يتسم بحداثة ثقافية محدودة ينطبق على السعودية؟ تقوم المقالة بتوضيح جديد للثقافة والسلطة على مستوى من الجنوب إلى الجنوب. ثمة بين المكسيك والمملكة العربية السعودية صور متغايرة من الهجانة والنقاء، لكن هناك قواسم مشتركة متضمنة. ففي المملكة العربية السعودية، يهتم الاختلاط بالتحكم باختلاط الجنسين، وبانشغال بالنقاء. بالمقارنة، إن الجدل المثار حول لو مالينش، المرأة التي من قبيلة الناهوا وساعدت في الفتح الأسباني للإمبراطورية الآزتيكية كمترجمة، يمثل الهجانة الجوهرية وغموض الثقافة المكسيكية. وهذه فروق بين الأعراف الثقافية المكسيكية والسعودية. لكن كريدي يقوم بالمزيد من المقارنات، بين النشيد الجهادي (النشيد الوطني المحرك روحياً لتنظيم الدولة الإسلامية) والناركوس المكسيكية (الموسيقى الشعبية التي تحتفل بمهربي المخدرات كأبطال شعبيين)، عاثراً على بنيتين فرعيتين إجراميتين تتواطآن مع الحكومات الرسمية وتستخدمان الإعلام الرقمي لخلق جماعة وأعداء. وعلى المستوى المادي للإنتاج الثقافي، حيث تنصهر الاقتصادات والسياسة مع تطلعات جديدة معسكرة مضادة للثقافة كحرمان جماهيري ثمة تناسق مذهل عابر للحدود القومية.

تقارن المقالة عملين نظريين، *حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية* لعبد الله محمد الغذامي وكتاب نسطور غارسيا كانكليني *ثقافات هجينة: استراتيجيات لدخول أو مغادرة الحداثة*. يصور كتاب حكاية الحداثة تلفزيون الواقع السعودي كمحاكمة عامة ل“الحداثة“، حيث رجال الدين والصحفيون يهاجمون ”الحداثة“ بسبب ترويجها للقيم الغربية والتي تعني ”اختلاط الجنسين“. وفي هذه الأثناء واجه الصحفيون السعوديون ”النزعة المحافظة“ من خلال الشعر والأدب والصحافة من العشرينات إلى الثمانينات. ويعرف الغذامي ”الحداثة“ بأنها تعانق المحتمل واللامتنبأ به، ويقول إن الحداثة السعودية ناقصة بشكل دائم. ويولد هذا فصاماً ثقافياً يُشرح كوضع تاريخي. ودفع الازدهار النفطي السعوديين إلى التخلي عن العمل اليدوي وتركه للعمال المستوردين. وبعد أن فشلوا في تحقيق السيطرة على الذات والظروف صار السعوديون حداثيين في المظهر فحسب. ثمة حداثة وسائل، لكن لا يوجد طرق ذهنية مكافئة. ويساوي الغذامي سياسياً الليبرالية مع الإمبريالية ويتبجح بالقومية السعودية ضد الخصمين الإيراني والتركي.

لكن هناك تشابهات. يرى الغذامي وكانكليني الحداثة كنقص، كلايقين، واحتمالية، وتوتراً بين الحداثة والتحديث. إن الإعلام محوري للحداثة القومية، ويحفز التهجين الثقافي. وعلى الرغم من هذه التشابهات، تختلف مفاهيمها. يقول كتاب الثقافات الهجينة بإعادات الترتيب السائلة بدلاً من الانتقالات الثنائية أو الكاملة، أي من ”حكم القلة“ إلى ”الديمقراطية“ و“الرأسمالية“. إن الحداثات التعددية غير متساوية ومتناقضة، في ”غياب للتجانس متعدد الأقطاب“، ”دمج القديم والجديد“، في علاقات متعارضة وداعمة، أي مؤسسات ليبرالية وعادات استبدادية متداخلة. بالمقارنة، يرى الغذامي صراعاً حداثياً- محافظاً ”واقعاً في الفصام الثقافي“.

يختتم كريدي أن الحداثة والتحديث ليسا منفصلين بل مندمجين، ويولدان تبادلات متعددة. يمكن أن تعاشر الحداثة الطرق القديمة في التفكير والفعل والوجود. إنها مقارنة مضيئة. لكنني أود أن أعرف أية روابط ممكنة توجد بين وجهة نظر الغذامي الهيجلية البراغماتية للذات الحداثية الموحدة وسياسته المحافظة من منظور حداثي. وبينما يفكك كتاب الثقافات الهجينة الثنائيات يرسّم الفروق المهمة بين المجتمعات الحرة وغير الحرة.

كيفان هاريس،

تواريخ مختلفة وتفاوتات غازية في الشرق الأوسط وأميركا اللاتينية

هل يشكل الشرق الأوسط حالة شذوذ في الجنوب العالمي؟ فقد هيمنت طويلاً أسطورة التفاوت القائمة على الدخل المنخفض. وأعلن تقرير أعده توماس بيكيتي في ٢٠١٧ عن التفاوت في الدخل في الشرق الأوسط أن الشرق الأوسط هو المكان الأكثر غياباً للمساواة في العالم. ولو نظر إليها كوحدة، فإن البرازيل (أحد أكثر البلدان تفاوتاً في العالم) لتبين أنها أكثر مساواة ولو بشكل ضئيل. إن الواحد بالمائة الذين يتلقون الدخل الأعلى في الشرق الأوسط يحصلون على ٢٧٪ من الدخل الكلي، بالمقارنة مع ٢١ في الهند. يبدد هذا الدليل ما يدعى بلغز الانتفاضات العربية في ٢٠١١، حيث عبر الخبراء عن دهشتهم من أن المتظاهرين نظروا إلى التفاوت المرتفع في تناقض مع المعطيات. وتقترح المكتشفات أن الشرق الأوسط يتطلب تأويلاً عابراً للحدود القومية. إن التفاوت المنخفض موجود داخل بلدان معينة لكن التفاوت المرتفع يوجد في المنطقة ككل. إن الإرث الاستعماري ليس بعيداً جداً في الخلف عن هذا الكشف ”الجديد“.

في ضوء هذا، ترصد المقالة تشابهات واختلافات الشرق الأوسط عن أميركا اللاتينية. وقد حصل تبدل مشابه من سياسات التصنيع التي تقودها الدولة إلى سياسات ليبرالية جديدة بقيادة السوق. تتشاطر المنطقتان تراث الأممية العالمية الثالثة في منتصف القرن العشرين لكن تنوعات في المشاريع الصناعية، وممرات ليبرالية جديدة مختلفة، وفورات شعبية ولدت تباينات مميزة بين أميركا اللاتينية والشرق الأوسط تشرح التفاوت الإقليمي المرتفع في المنطقتين. وفي الأربعينات والسبعينات نظر الباحثون والناشطون إلى مناطقهم داخل مصير مشترك. وولدت عقود من الحوار العابر للحدود القومية، عبر فضاءات مثل حركة عدم الانحياز، إيديولوجيا مصير مشترك في العالم الثالث. وكان هذا يستند إلى قناعة بأن الاقتصاد العالمي يتم التلاعب به لصالح الدول الغربية الغنية، والتي كانت الدول المُسْتعمِرة في السابق. واختُزل العالم الثالث إلى مصدر رئيسي لإنتاج المواد الأولية من خلال الاستعمار، أي تفكيك التصنيع. وسعت استراتيجيات مشتركة إلى إعادة معالجة هذا التفاوت الظالم، وللتنافس في السوق الصناعي المعولم. واتبعت المنطقتان تراثاً يسارياً من السياسات المضادة للإمبريالية يعتمد التصنيع المحلي الذي تقوده الدولة، أي بديلاً للاستيراد من خلال ربط الأسواق المحلية الداخلية، وحماية قطاعات التصدير لتنويع التجارة، وتمويل شركات التصنيع. وفي المنطقتين، تحولت الدول القومية الشعبوية ما بعد الاستقلال إلى أنظمة عسكرية استبدادية.

يشير هاريس إلى اختلافات مهمة. فقد امتلكت أميركا اللاتينية تاريخاً أطول من الاستقلال، وارتبطت النخب بالطبقات المحافظة لمالكي للأراضي. وقام كثير من دول الشرق الأوسط بالإصلاح الزراعي مباشرة بعد الاستقلال. وكانت قطاعات التصنيع أكبر في أميركا اللاتينية منها في الشرق الأوسط. وكانت القوى المُلبْرَلة الحديثة أقوى في أميركا اللاتينية منها في الشرق الأوسط منذ السبعينات. وفي أميركا اللاتينية وسع الانتقال إلى أشكال ديمقراطية من السياسة الجماهيرية الفضاء المدني للتعبئة الشعبية ضد الدكتاتوريات العسكرية في المنطقة. بالمقابل، في الشرق الأوسط سعت الحركات الجماهيرية غير العنفية في ٢٠١١ للفصل بين المستبدين والقوى الأمنية، وغالباً ما واجهت عوائق الثورة المضادة وفي النهاية الحرب الأهلية. إن الشرق الأوسط، في هذا الضوء، استثنائي في كونه يقدم مواطنة اجتماعية لقرابة نخبوية، بطبقات عمالية ومهنية مستوردة، وأمن عسكري، متعاقد به مع الولايات المتحدة. واحتُفي بهذا ك“بديل“ صالح للشعبوية الناصرية، ومنع توازناً أكثر تقليدية لترتيب القوة. ورغم الخلافات، تعمل المنطقتان في منطقة رمادية من عقود مرتبطة بالدولة، وشبكات قرابة، وصلات خطيرة من التمويل العالمي. وجربت المنطقتان أنسجة اجتماعية ممزقة من خلال العنف الذي استهدف المجموعات الاجتماعية المهمشة، والذي أطلق عليه أسماء غامضة كالجريمة أو الحرب. يختتم هاريس بأن معنى الآفاق المشتركة يمكن أن يقدم دافعاً لاستراتيجيات سياسية جمعية مرة ثانية.

تصور هذه المقالة على نحو مهم العناصر المتعددة للهيمنة ما بعد الاستعمارية في مصادر متصارعة للقوة الاجتماعية. أية آليات تكمن في تحول الأنظمة القومية الشعبوية إلى أنظمة استبدادية عسكرية في هذه المناطق؟ أي دور للحركات الاجتماعية؟ أية اختلافات تتقاطع؟ هل المخرج هو جزئياً إيديولوجي؟ أم ليس مطلقاً؟

عمر ضاحي وأليخاندرو فاليسكو

الروابط بين أميركا اللاتينية والشرق الأوسط في الجنوب العالمي الجديد

تعالج المقالة مجازفة تنمية غير متكافئة وتفكيك التصنيع بين الأمم في الجنوب. أُطْلقت حركة العالم الثالث في مؤتمر باندونغ في أندونسيا في ١٩٥٥ حين اجتمع ممثلون من الأمم الأفريقية والآسيوية المحررة كي يتشاوروا حول برنامج عالمي للتضامن الجماعي. وتصورت بشكل جريء تحولاً رئيسياً للنظام العالمي قائماً على المساواة. وفي ١٩٧٤، كانت مجموعة ال ٧٧ ذروة حركة العالم الثالث.

جاءت بلدان أميركا اللاتينية إلى حركة عدم الانحياز وسط تحول اشتراكي محلي، وصارت أهدافاً في الحرب الباردة، بما أنها أُجبرت على التحول إلى دكتاتوريات والدخول في الصراع المسلح من خلال التخريب الأميركي. يشرح هذا صراع تشي غيفارا المضاد للإمبريالية العابر للحدود، ودعم الصراعات الأفريقية ضد الاستعمار، والتطلع إلى ثورة قارية في جنوب أميركا. وحتى السبعينيات، كانت جهود التعاون بين الجنوب والجنوب كثيرة، مع صدمة ١٩٧٣ النفطية التي أكدت القوة الجيوبوليتيكية الجديدة للجنوب العالمي. وفي الثمانينيات، طُبقت ثورة مضادة رئيسية من الدول الرأسمالية المهيمنة تقليدياً في الشمال. وبقيادة الولايات المتحدة أُطلقتْ قمة السبع من خلال منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي. وأدى تدهور أسعار النفط في ١٩٨١ إلى نهاية حركة العالم الثالث. لكن في الأعوام الذهبية لحركة العالم الثالث، حصلت إنجازات مهمة. وبين الخمسينيات والسبعينيات حدث نمو عام في الإنتاجية، وارتفاع في مؤشرات التنمية البشرية في الصحة والتربية، وتناقص في الفقر. ومع نهاية الإجماع النهروي (نسبة إلى جواهر لال نهرو) كرؤية عابرة للحدود القومية من أجل إعادة تنظيم اشتراكية غير عنفية للعالم، تم اتباع سياسية واقعية ماكيافيلية بديلة. وبين ١٩٨٠ و١٩٩٠، انحدرت الأجور الحقيقية وازدادت حدة التفاوت في الدخل درامياً. وأوقفت الحكومات الإنفاق الاجتماعي. وصارت الخصخصة أولوية. وذهبت الهيمنة الإيديولوجية لشخصيات مثل نهرو وناصر، اللذين يزدريهما الآن اليسار ما بعد الحداثي كغير أصيلين وملوثين بالغرب.

ورغم نهاية حركة العالم الثالث المنظمة إيديولوجياً نمت التجارة بين الجنوب والجنوب. لكن التأكيد على التفاوت تلاشى. إن بلدان الجنوب تؤذي بعضها الآن، بالموافقة الماكرة للمستعمر السابق. واستلمت بضعة بلدان الهيمنة على البقية، وبشكل ملحوظ الصين. إنها غير متكافئة كالتجارة التقليدية بين الشمال والجنوب. لكن صعود قوى عظمى جديدة في الجنوب مزق النظام العالمي المؤسس وهناك إمكانية لإعادة تصنيع التوجه الإيديولوجي في المستقبل.

تقدم هذه المقالة بانوراما جيدة للسياسة العابرة للحدود بين بلدان الجنوب في القرن العشرين. أحب أن أفهم التداخل بين السياسة الإيديولوجية ومحددات بنيوية أخرى. هل كانت الرؤية القائمة على المساواة لمؤتمر باندونغ حقاً قوية في صياغة العلاقات بين دول الجنوب قبل الثمانينيات؟ هل التفاوت متضمن في الرأسمالية العالمية أو هل يستطيع إهاب اشتراكي نزع أنيابها؟ ما الذي يشرح فقدانها للاستساغة الإيديولوجية في أوساط اليسار اليوم؟ ما هو دور الماركسية كسلطة دولة منظمة؟ (روسيا والصين) وإيديولوجيا؟ أين تدخل دول مثل فيتنام الآن في هذه الصورة؟ وما هي شروط إعادة إطلاق سياسة اشتراكية عابرة للحدود ملتزمة بقيادة الجماهير الشعبية للعالم الثالث ديمقراطياً دون تكرار أخطاء حقبة الحرب الباردة أو الموضة العابرة ل“ثقافة الهوية“ الجديدة المجسدة سياسياً في الثورة الإسلامية الإيرانية وتنظيم الدولة الإسلامية مع أمثلة كثيرة أصغر في الأزمات المتنوعة التي تهز بلداناً كالهند.

خاتمة:

تشترك هذه المحاضرات في فكرة محفزة فكرياً، نستطيع أن نتعلم منها الكثير عن تعقيدات التواريخ والوقائع السياسية وانتشار المعرفة على المستوى العالمي. وحين ينتقل المنظور النظري من ثنائية المركز\الأطراف ما بعد الاستعمارية للتركيز على العلاقات بين بلدان الجنوب ذوات المراكز العديدة، نستطيع تعلم الكثير. إن القوة ليست احتكار حداثة غربية متجانسة ، تواجه آخر عاجزاً وصامتاً، بل قوى متعددة إبداعية وخطيرة. نحتاج إلى تحليل محدد جداً لتحديد أهميتها من أجل الأفضل أو الأسوأ. إن هذا الانتقال الفكري والسياسي يحرر عقولنا من الكليشيهات السائدة للأرثوذكسية ما بعد الاستعمارية. نبدأ بالتفكير بشكل أكثر نقدية، وننتبه إلى التجارب المعاشة للسكان. تستطيع الحياة الأكاديمية كمهنة بالتالي أن تتجاوز ”الطقوس“ التي من المتوقع أن نتبعها. إن المنظورات المقارنة والعابرة للحدود القومية يمكن أن تجعل عملنا وثيق الصلة بعالمنا وحياتنا.